

الفنون

الفن البابلي الآشوري

للدكتور احمد موسى

أما آشور فهي أقدم كثيرا من هذه ، إذ قامت الحضارة فيها عام ٢٢٥٠ ق.م . على أساس حضارة بابل . وكانت مدينة نينوى Nineveh لمعهد طويل عاصمة لها ، وهي واقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة أمام مدينة الموصل الحالية ، وفيها ظهر الفن الآشوري الرائع في المرحلة الزمنية المحصورة بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، واستمر التقدم في هذه الفترة حتى تأسيس مملكة آشور ، وازدهار الفن في عصر ساراجون (٧٢٢ - ٧٠٥) وسأنهريب (٧٠٥ - ٦٨١) وأسور بانيال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م) ولم يتدهور الفن إلا في عصر نابوبولاسر واتجه بعد ذلك اتجاها آخر عند ما حكمها كيروس بن كيز Kyros سنة ٥٣٩ ق.م . وضمتها إلى مملكة الفرس هذا سرد تاريخي بسيط اقتصر فيه على ما لا استغناء عنه لمن يود الوقوف بشكل إجمالي على الحالة التي نشأ خلالها الفن البابلي والآشوري ، الذي ينقسم إلى عمارة ونحت وتصوير كالفن المصري والإغريقي وغيرهما .

ونظراً لفلة الأحجار في هذه البلاد ، نجد أن العمارة لم تكن رائعة ، فضلا عن تدهورها جميعها لضعف اللبن الذي استخدم في معظم مبانيها إلى جانب الآجر وبالدراسة الاجمالية لبقايا العمارة البابلية الآشورية ، يمكننا أن نعرف أنها خلقت من الأعمدة التي كانت من أهم مميزات الفن المصري والإغريقي ، ولذلك نجد أن الحوائط كانت سميكة إلى حد بعيد ، فضلا عن إقامة أكتاف لها من البناء لتساعد على تقوية الحوائط المرتفعة .



(ش ١) الفروبية - نمرود

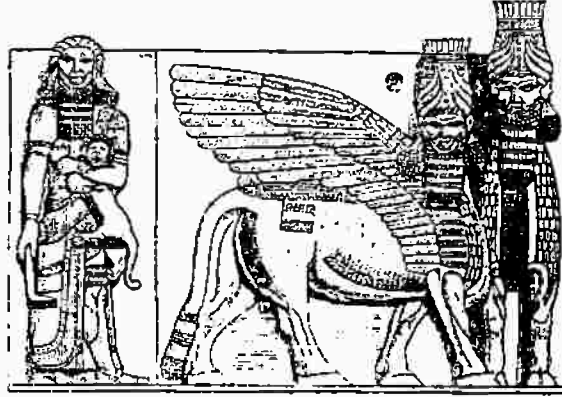
إلا أن لبابل وآشور ميزة قد تعادل النقص الناشئ عن عدم إنشاء الأعمدة ، وهي القباب التي بنيت على هيئة نصف كرة والقبوات التي أقيمت على شكل عقود نصف دائرية أو نصف بيضاوية ، بجانب

إذا كنا قد عرفنا شيئا عن الفن المصري من عمارة ونحت وتصوير وفهمنا كيف أن هذا الفن كان إلى حد ما أساساً للفن الإغريقي ، وعلمنا أن الحضارات تقاس بالفن ، أمكننا أن نتقل اليوم إلى حضارة فنية أخرى هي حضارة بابل القديمة (٢٨٠٠ - ٦٢٥ ق.م) والجديدة (خلافا ٦٢٥ - ٥٣٨ ق.م) وآشور (٢٢٥٠ - ٦٠٦ ق.م) التي لم تبلغ في مجموعها مستوى عظمة الحضارة المصرية نسبياً ؛ فضلا عن أنها لم تكن أساساً اتخذها الإغريق لحضارتهم الفنية ، رغمًا عن وجود بعض الشبه الضئيل بين النحت البابلي الآشوري وبين الإغريقي ، من حيث عدم الاكتفاء بالخطر المحدد للنحوتات النصف البارزة والمصورات (كما رأينا في الفن المصري) ، وإخراجها شاملة بعض تفاصيل أعطت شيئا من الحياة قربها من النحت الإغريقي . ويحسن قبل التكلم عن الفن البابلي الآشوري وعن مميزاته أن نعرف شيئا عن نشأة بابل وآشور اللتين كانتا مصدر حضارة غرب آسيا . ففي الجزيرة المحصورة بين نهري دجلة والفرات التي تعد من أخصب البقاع الصالحة للزراعة ، نشأت بابلونيا من الجنوب وآشور على نهر دجلة من الشمال .

وإذا رجعنا إلى التاريخ الذي اعتمد واضعوه على الآثار والدراسات الفنية ، فالتنا نرى أن الحفريات التي أجريت في مناطق كثيرة من هذه البلاد ، دلت على أن أول آثار الإنسان المتحضر نوعاً رجعت إلى حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م .

على أنه لا يهنا هنا أن نعرف إن كان أصل هؤلاء الناس من الآريين أو من الساميين ، كما أنه لا يعتينا أن نبحت لتحديد نوعهم ، ولكن المهم أن نعلم أن بابل نفسها انقسمت لمملكتين شمالية وجنوبية ، ثم اندجتا معاً حوالي عام ٢٣٠٠ (٢٠٠٠ ق.م) في عصر الملك إيري أكو Iri-Aku وكانت مدينة بابل على نهر الفرات (على خط عرض يافا تقريبا) عاصمة لها

تكوين فكرة تكاد تكون صحيحة عن تصميمات المباني، فالقصور والبيوت كانت مربعة الشكل توسطها صحن يعلوه سقف مفتوح الوسط (كحوش قصر حفر رزباد) أو بدون سقف، تفرعت منه غرف السكن التي كانت سقفوها على هيئة قباب أو عقود نصف دائرية أو نصف بيضاوية كما سبق القول .



(ش ٢) إحدى أركان مدخل خورزياد

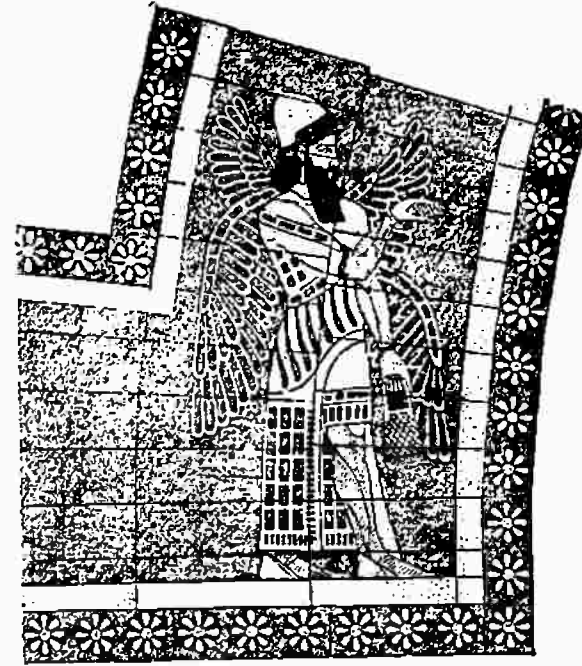
أما العصور على وجه الخصوص فكانت في بابل وآشور متشابهة تشابهاً قوياً، فهي مع بساطة تكوينها الانشائي كانت كثيرة التحلية والتصوير والمناظر التي كانت بألوان بلغت الستة أحياناً، وكانت الردهات والصالات كثيرة بلغ بعضها من ٢٨ إلى ٥٢ متراً على حين كان العرض من ١٠ إلى ٢٠ متراً فقط . وكانت النوافذ غريبة الوضع، فكانت عبارة عن فتحات تركت في أعلى الحوائط وأفل السقف مباشرة . من هذا نرى أن العبارة لم تكن عظيمة في بابل وآشور إلى حد يسمح لنا أن نقول لولا المنحوتات والتعليقات والزخارف والرسومات النصف بارزة والمحفورة لما سجل تاريخ الفن شيئاً كثيراً لهذه البلاد .



(ش ٤) هيئة ملوك آشور

السقف المسطحة التي كانت فوق أعمدة ارتكزت على أكتاف الحوائط ودفع التحضر أهل بابل وآشور إلى وجوب زخرفة مبانيهم، فتراهم أحرقوا الطوب وصقلوا سطحه بالحرارة حتى أصبح لامعاً كالصيني، فأعطى لهذه المباني شيئاً من الجمال والبهجة علاوة على الرسوم والتصوير التي عملت عليها، والتي مكنتنا من تحديد درجة تحضرهم .

وإذا قارنا معابد بابل وآشور بالمعابد المصرية، نرى أنها أقل فناً منها، ذلك من حيث هندسة البناء، والانشاء الكلي وجمال الطراز أقيمت هذه المعابد عادة على مرتفع من الأرض، تعلوه مصطبة بلغ ارتفاعها أحياناً ثلاثة عشر متراً، أو مصاطب بعضها فوق بعض (كهرم سقارة المدرج) انتهت بقبة مزخرفة علت الهيكل المقدس وتماثيل وصور الآلهة .

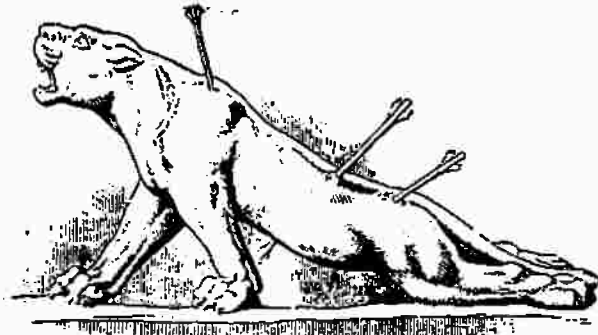


(ش ٢) تقطبة زخرفية للحوائط

هذا بجانب مبانيهم التذكارية كبرج بابل (٢٣٠٠ ؟) الذي ذكر هيرودوت أنه كان مكوناً من سبع مصاطب (Herodot, 1 : 178) ، والبناء التذكاري المسمى بمعبد بورسبيا Borsippa في الجنوب الغربي من بابل أنشأه نبختصر Nebukadnezar (٦٠٥ - ٥٦٢) ويرس نمرود Birs Nimrud بالقرب من هيل جنوب بابل .

كل هذا قد تهدم، وبعضه لا يعرف له أثر، كما تهدمت كل المباني العادية إلى حد يصعب معه التعرف على حالتها بدقة، ولكننا إذا نظرنا إلى نتائج أعمال الحفر وبقايا الخرائب، نستطيع أن نصل إلى

في ذلك راجع إلى شخصيات بارزة أمثال أميل بوتنا وهنري ليارد
وهرمز رسام وجورج سميث وغيرهم ، استغل كل منهم في منطقة معينة
لا يتسع المجال لايضاحها وإيضاح نتائجها



(ش ٦) اللبوة العابة - كريونيك

ولعلنا بالنظر إلى المصورات التي تشملها هذه المقالة ، نأخذ
فكرة عامة عن الفن البابلي الآشوري كما أنه يمكننا بالمقارنة أن نعرف
إلى أي مدى وصل هذا الفن نسبياً إلى الفن المصري

أنظر إلى الصورة الأخيرة (ش ٦) ترأروغ ما يستطيع فنان
إخراجه ، فهي مليئة بالحياة وصدق المحاكاة ، إلى جانب دقة التناسب
وعظمة الإخراج

فعند ما أصيبت اللبوة بسهمين في نصفها الخلفي انهزمت بهذا
النصف ، ونلاحظ أن النصف الأمامي لا يزال حياً برغم اختراق
السهم الثالث للقلب أو لما يجاوره . أنظر إلى بروز الخطين الأماميين
والإختفاء نظيريهما من الخلف ، ولاحظ ما ظهر على ملامح الوجه
من علامات الألم التي تمثلت في التجاعيد الواضحة على الأنف . أما الفم
فهو يمثل الاستغاثة بكل معانيها

فهذه إلى جانب غيرها من الأمثلة الصادقة لفن إن لم يكن في
مقدمة الفنون القديمة ، دليل على أنه من الفنون التي لا يمكن للراغب
في فهم الجمال الفني الاستغناء عن معرفتها ؟ أحمد موسى ،

مرض البول السكري

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المريض

مرضت بالبول السكري وبالتي إلى كل أطروقه لم أستفد سوى استفادة
مؤقتة تزول بزوال الدواء إلى أن رفعتني الله تعالى إلى بعض أنواع
بذور النباتات ثم أجدها لا تبطل عطارة محمد طاهر الصاوي بوكالة
أنور زيب بالجزيرة بصير بدمشق ٥٢٥٢٠ ولم يكلفني تمريض سوى
سبعة عشرة قرويه صاغ . وباستعمالها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة
سريضة جداً ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعي بعد أن
كان بنسبة ٥٥ في الألف .

لذلك أخذت على نفسي عهداً أن أتبع بها المرضي وأعتقد أن
الحمل المذكور لا يتأخر عن إرسائها لكل مريض فدية للإنسان في
رسل إليه قيمة الثمن المذكور أحمد كـ ٢٠

وبجمل التعريف أن المشاهد لبقايا المنحوتات والزخارف
والتصوير الخ ، يرى أنها مليئة بالحياة ، كما يلاحظ قدرة الفنان
وثبات يده في العمل . وقد وجدت رسومات نصف بارزة على لوحات
من حجر الباستر المعروف شملت مناظر الآلهة والانسان والحيوان
كما شملت كثيراً من طراز الملابس التي اعتنى بإخراجها عناية شديدة
ولعلنا بمشاهدة بعض الصور هنا نلاحظ الدقة التي وجهت إلى
إظهار تدرجات الشعر والاكتار من الظل والنور .

وما تجب ملاحظته أن هناك وجه شبه إلى حد ما ، بين ما رأيناه
من منحوتات المصريين ومصوراتهم وبين ما نراه الآن من مخلفات
بابل وآشور ، وذلك باظهار الأجسام كاملة التكوين والتصوير
بحسب ما يجب أن تظهر به أمام المصور في حالة من الجفاف والصمت ،
ولكنها تميزت باشتال الأجسام على شيء من خطوط التحديد الذي
أظهر تفاصيل العضلات ، إلى جانب هذا كان النحت والتصوير
الآشوري على وجه الخصوص متقدما إلى حد يقربه من روح
النحت والتصوير الاغريقي .

وما وقع فيه الفنان المصري من الخطأ في تصوير الحمامات ؛
وقع فيه الفنان البابلي الآشوري أيضاً ، فترى تصويره لها كان كما
لو كانت كل قطعة منها قائمة بنفسها لا تتصل بمجاوراتها
ومن ضمن المميزات الفنية ظهور الأسد أحيانا برأس إنسان
في معظم المصورات البارزة والمستطحة ظهوراً مستمراً ، إلى جانب
الاجنحة التي نحتوها أو صوروها عند ما مثلوا آلهتهم



(ش ٥) رأس آشوري - نمرود

وفي المتحف البريطاني ومتحف اللوفر وغيرهما مجموعات كبيرة
كما وجدته الأثريون من بقايا النقوش والزخارف والتماثيل ، وعند
هائل من اللوحات التي قيل أنها تكون مكتبة أسوربانيال ، والفضل